

الحلقة الرابعة والتسعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

نتابع مستمعي في لقاء اليوم ما كنا قد بدأناه في الحلقة الماضية عن النقاش الذي دار بين بعض اليهود الذين ادّعوا أنهم آمنوا بالمسيح وبين المخلص المسيح. فبعد أن أوضح لهم المسيح ضرورة معرفتهم للحق الذي يحررهم، كشف لهم حقيقة أنهم كخطاة هم عبيد للخطية، وبحاجة لكي يحررهم هو أي المسيح الذي هو الحق. لكن أولئك اليهود استمروا في الادعاء أنهم من نسل إبراهيم الخليل فكان يجب على المسيح أن يكشف لهم بعض الحقائق الهامة.

كتب البشير يوحنا قائلاً: «أجابوا وقالوا له: «أبونا هو إبراهيم». قال لهم يسوع: «لَوْ كُنْتُمْ أَوْلَادَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! وَلَكِنْكُمُ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُم بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ. هَذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمَ. أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنَا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لِأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَأَتَيْتُ. لِأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَلِكَ أُرْسَلْتَنِي. لِمَاذَا لَا تَفْهَمُونَ كَلَامِي؟ لِأَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي» (بشارة يوحنا ٨: ٣٩-٤٣).

لقد ظن أولئك اليهود أن مجرد انتمائهم لإبراهيم عن طريق النسل الجسدي، يجعلهم أناساً صالحين أمام الله ومن شعبه. فكان على المسيح أن يصحح مفهومهم الخاطئ هذا، فقال لهم لو كنتم فعلاً من أولاد إبراهيم لكنتم عملتم أعماله، وعلى رأسها الإيمان الحقيقي بالله وبوعوده. ألم يُسمَّ إبراهيم بأبي المؤمنين؟ والدليل أنهم طلبوا أن يقتلوا المسيح المخلص الذي أرسله الله، وهذا ما لم يعمله إبراهيم. وهنا كشف لهم المسيح أنهم يعملون أعمال أبيهم. فما كان من اليهود إلا أن ادّعوا ادعاء آخر أنهم لم يولدوا من زنا وأن الله هو أبوهم. فأجابهم المسيح قائلاً: «لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لِأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَأَتَيْتُ».

ثم تابع المسيح كاشفاً لهم حقيقة أنفسهم الخاطئة فقال لهم: «أَنْتُمْ مِنْ أَبِي هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَلِكَ كَانَ قِتَالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمْتَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ. وَأَمَّا أَنَا فَلَأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ لَسَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي. مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ، فَلِمَاذَا لَسَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟ الَّذِي مِنَ اللَّهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ. لِذَلِكَ أَنْتُمْ لَسَنْتُمْ تَسْمَعُونَ، لِأَنَّكُمْ لَسَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ» (بشارة يوحنا ٨: ٤٤-٤٧).

أجل إن أولئك اليهود هم « مِنْ أَبِي هُوَ إِبْلِيسُ»، ويعملون بحسب شهوات أبيهم. هذه هي الحقيقة التي أراد المسيح أن يكشفها لأولئك اليهود الخاطئة، وللشركاء جميعاً. أننا إذا لم نتب ونؤمن به يكون إبليس هو أبانا وليس الله، والسبب أننا نعمل الخطيئة لا بل نحن مستعبدون لها. وبالتالي إن الذي لا يؤمن بالمسيح المخلص لا يصح اعتباره من أولاد الله. وتابع المسيح كاشفاً حقيقة إبليس الشيطان، وأنه مصدر كل شر ودمار وخراب. فهو الذي يجعل الناس تقتل بعضها بعضاً وتسفك الدماء. وهو البعيد جداً عن الحق، لا بل هو كذاب منذ البداية وأبو الكذاب. ألم يكذب على أمنا حواء عندما خدعها مكذباً كلام الله أنها إذا اكلت من الشجرة المحرمة فلن تموت؟

وفي المقابل كشف لهم المسيح أنهم لا يؤمنون به كمخلص لحياتهم لأنه يقول الحق. وهنا طرح عليهم السؤال: «مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ، فَلِمَاذَا لَسَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟» أي أكد لهم أنه هو الإنسان البار على عكس إبليس تماماً، والدليل أنه تحداهم أن يقولوا له عن خطيئة واحدة فعلها. وتساءل المسيح: وإذا كان هو يقول الحق فلماذا لا يؤمنون به؟ وتابع قائلاً: «الَّذِي مِنَ اللَّهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ. لِذَلِكَ أَنْتُمْ لَسَنْتُمْ تَسْمَعُونَ، لِأَنَّكُمْ لَسَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ». وهذا دليل آخر أنهم ليسوا من أولاد الله لأنهم لا يسمعون كلامه. لكنهم في الحقيقة هم يعملون بما يطلبه إبليس منهم وهو رفض المسيح ومحاولة قتله.

صديقي المستمع، لقد كشف المسيح في كلامه من هو بالحقيقة شعب الله. وأن الانتساب لشعب الله لا يكون عن طريق الوراثة الجسدية كما ظن اليهود قديماً، بل يكون عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح. إن الوراثة الجسدية تخالف طبيعة الله العادلة وخطئه خلاص البشر جميعاً بغض النظر عن جنسياتهم. هل تعلم مستمعي أن كثيرين مازالوا حتى اليوم يظنون كاليهود قديماً؟ فهم يعتقدون أنه بمجرد انتمائهم لدين معين أو طائفة خاصة، أو حتى لأنهم من عائلة يوجد فيها رجال دين، يصبحون من شعب الله. لكن المخلص المسيح في جداله الواضح مع اليهود بيّن لهم عكس ذلك بالتمام.

لعلّ السؤال الآن: كيف بإمكان الإنسان أن يصبح من أولاد الله؟ والجواب بسيط وواضح للغاية. أجابنا الرسول بولس قائلاً: «لأنّكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأنّ كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح: ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبداً ولا حرّاً. ليس ذكرّاً وأنثى، لأنّكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (الرسالة إلى غلاطية ٣: ٢٦-٢٨).

إنّ إن مجرد الإيمان بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب كفارة عن خطية الجنس البشري بأكمله، يؤهل الإنسان لكي يصبح من أولاد الله ومن شعبه. ولنلاحظ قول الرسول بولس أنه في المسيح يسوع لا يوجد فرق بين شعب وآخر، وبين طبقة وأخرى، وبين ذكر وأنثى لأن الجميع واحد في المسيح يسوع. وليس هذا فحسب بل نجد الرسول بولس يتابع معلناً حقيقة هامة قائلاً: «فإنّ كنتم للمسيح، فإنّتم إذا نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثته» (الرسالة إلى غلاطية ٣: ٢٩). هذه هي الحقيقة أنه بإمكان أي إنسان أن يصبح من نسل إبراهيم بمجرد إيمانه بالمخلص المسيح، ويرث بالتالي كل مواعيد الله لإبراهيم بملكوت الله.

ألا تود مستمعي أن تحصل على كل هذه الامتيازات العظيمة وتصبح من أولاد الله ومن شعبه؟ أو لا ترغب أن يعتبرك الله من نسل إبراهيم أبي المؤمنين؟ لم لا تتوب الآن عن خطاياك وتؤمن بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات؟